

صيد الخاطر

153 - فصل : العلم أشرف مكتسب .

الواجب على العاقل أن يتبع الدليل ثم لا ينظر فيما لا يجني من مكروه .

مثاله أنه قد ثبت بالدليل القاطع حكمة الخالق D و ملكه و تدبيره .

فإذا رأى الإنسان عالما محروما و جاهلا مرزوقا أوجب عليه الدليل المثبت حكمة الخالق

التسليم إليه و نسبة العجز عن معرفة الحكمة إلى نفسه .

فإن أقواما لم يفعلوا ذلك جهلا منهم أفتراهم بماذا حكموا ؟ بفساد هذا التدبير ؟ أليس

بمقتضى عقولهم ؟ أو ما عقولهم من جملة مواهبه ؟ .

فكيف يحكم على حكمته و تدبيره ببعض مخلوقاته التي هي بالإضافة إليه أنقص من كل شيء ؟ .

و لقد بلغني عن اللعين ابن الراوندي أنه كان جالسا على الجسر و في يده رغيف يأكله

فجارت خيل و أموال فقال : لمن هذه ؟ فقيل : لفلان الخادم ثم جازت خيل و أموال فقال :

لمن هذه ؟ فقيل لفلان الخادم .

فلما مر الخادم رأى شخصا محتقرا فرمى الرغيف إلى ناحيته و قال : و هذا لفلان ! ما هذه

القسمة ! .

و لو فكر المعترض لبانت له وجوه أقلها جهله بمن يدعي معرفته و قلة تعظيمه له و ذلك

يوجب عليه أشد مما كان فيه من تضيق العيش و لكنه ميراث إبليس حيث إعتقد سوء التدبير

في تفضيل آدم عليه السلام .

فالعجب من تلميذ يتعالَم على أستاذه و من مملوك يتيه على سيده .

و مما ينبغي أن يتبع فيه الدليل و لا يلتفت إلى ما جنت الحال أن العلم أشرف مكتسب .

و قد رأى جماعة من الجهلة قلة حظوظ العلماء من الدنيا ففأزوروا على العلم و قالوا :

لا فائدة فيه و ذلك لجهلهم بمقدار العلم فإن تابع الدليل لا يبالي ما جنى و إنما يبين

الاختبار بفقد الغرض .

و لو لم يكن من الدليل على صدق نبينا صلى الله عليه و سلم إلا إعراضه عن الدنيا و تضيق

العيش عليه ثم لن يخلف شيئا و حرم أهله الميراث لكفاءة ذلك دليلا على صدق طلبه لمطلوب

آخر .

و ربما رأى الجاهل قوما من العلماء يفعلون خطيئة فيزدري على العلم و يدعيه ناقصا و

هذا غلط كبير فليتنق العاقل و ليعمل بمقتضى العقل فيما يأمر به من طاعة الله تعالى و

العمل بالعلم و ليعلم أن الابتلاء في الصبر على فوات المطلوبات و ليلزم إتباع الدليل و

